الشخصية الوطنية الفلسطينية وخصوصيتها في الاطار العربي

أحمد شاهين

تطرح الانتفاضة الفلسطينية في الارض المحتلة، التي تفجّرت في ١٩٨٧/١٢/٩، وردود الفعل الاسرائيلية عليها، سواء تلك التي مارستها سلطات الاحتلال الاسرائيلي لايقاف الانتفاضة، أو تلك التي مارستها خارج الارض المحتلة ضد النشاط الفلسطيني، على سبيل المثال لا الحصر تفجير «سفينة العودة»، أو السعي الى ابادة قادة م.ت.ف. (اغتيال خليل الوزير، وغيره)، اضافة الى الموقف الاسرائيلي من التسوية السياسية للنزاع العربي ـ الاسرائيلي (مبادرة شولتس، مثلاً)؛ كل ذلك يطرح وجوب النقاش والحوار حول طبيعة الصراع اليهودي ـ الفلسطيني، من جهة، وطبيعة النزاع العربي ـ الاسرائيلي، من جهة أخرى؛ ومن ثم تلمّس واستكناه آفاق هذا الصراع واحتمالات تطوره سلباً، أو ايجاباً، حيث يتساوى فيها عمر نكبة الفلسطينيين مع عمر دولة اسرائيل، الذي اسفر عن اقامة دولة لشعب على حساب شعب آخر، مما جعل العداء بينهما يبدو عصياً على التسوية.

موضوع الصراع

تعود جذور الصراع الحديث في المنطقة الى مرحلة الهيمنة الاستعمارية الاوروبية عليها والتي تمثلت في رفع شعاري «الاستقلال» و «التحرر» من قبل سكانها في مواجهة الاستعمار. والحركة الصهيونية جزء من ذلك الاستعمار، أو أحد تجلياته التي تمثلت في الهجرة والاستيطان وانشاء دول ـ مجتمعات على حساب السكان الاصليين (النموذج الاميركي أكثرها وضوحاً). ولا يفترض هذا التوصيف التطابق المطلق داخل النموذج الاستعماري؛ فقد تباينت طموحات دول المتروبول لدرجة وقوع حربين عالميتين فيما بينها(١٩١٦ و ١٩٣٩) في اطار التنافس على اقتسام المستعمرات.

وعلى ذلك، ومع بروز ملامح «العالم الجديد»، الذي بدأت تفرزه نتائج الحرب العالمية الثانية، حيث رفعت القوتان الجديدتان (روسيا واميركا) شعار «تصفية الاستعمار»، اعتبرت الحركة الصهيونية نفسها «حركة تحرر وطني»، وطالبت بـ «الاستقلال» عن بريطانيا، بل واصطدمت عناصرها المسلحة مع قوات الانتداب البريطانية الموجودة في فلسطين، على الرغم من انها (الحركة الصهيونية) قدمت الى فلسطين في قافلة تلك القوات؛ كما انها لم تخفِ هدفها (اقامة وطن قومي يهودي في فلسطين). ولم يكن الاستعمار الغربي، عموماً، والبريطاني، خصوصاً، يخفي دعمه للمشروع الصهيوني (وعد بلفور) باعتباره احدى ادواته للهيمنة على المنطقة العربية؛ ولم تعارض الحركة الصهيونية هذا الدور الموكل اليها وادبيات آبائها (هرتسل) واضحة في هذا الشأن.

مقابل النشاط الصهيوني في فلسطين في فترة الانتداب البريطاني، تلمّست الحركة الوطنية